المجلة الأردنية للفنون، مجلد 8، عدد 2، 2015، ١٤٣- ١٥٨

القصيد السيمفوني "في سهوب آسيا الوسطى" للمؤلف الموسيقي الكسندر بورودين – "دراسة تحليلية"

محمـــد الملاح، قسم الموسيقا، كلية الفنون، جامعة اليرموك.
عـــزيز ماضي، قسم الموسيقا، كلية الفنون، جامعة اليرموك.
تيسيـر طبيشات، قسم الفنون البصرية، كلية الفنون، جامعة اليرموك.

تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/٣/٣ **تاريخ القبول:٢٠١٥/٨/١٧**

The Symphonic Poem "In the Steppes of Central Asia" by Alexander Borodin – "Analytical Study"

Mohammad Almallah, Music Department, College Of Fine Arts, Yarmouk University.
Aziz Madi, Music Department, College Of Fine Arts, Yarmouk University.
Tayseer Tubaishat,Visual Arts Department, College Of Fine Arts, Yarmouk University.

الملخص

يتناول هذا البحث القصيد السيمفوني "في سهوب آسيا الوسطى" للمؤلف الموسيقي الكسندر بورودين بدراسة تحليلية؛ تهدف إلى دراسة دور الموسيقى في تصوير فكر أو مشهد معين (حركة درامية)، وقدرتها على توثيقه في ذاكرة المستمع؛ وإثراء أوجه الفنون الأخرى بإلهامات تمكنهم من نقل هذا التوثيق وترجمته كل حسب مجاله، من خلال تحليل آلية التعبير الموسيقي النابعة من رؤية المؤلف والمستخدمة في تصوير قافلة تسير في صحراء الشرق. ليصار إلى تحليل موسيقاه وترجمة هذا التعبير المسموع والأحاسيس المعنوية إلى حسّ مادي؛ ينقل هذا العمل من عالم المسموع إلى عالم المرئي من خلال لوحة فنية رسمها الباحث التشكيلي. وقد اشتمل التحليل على تحليل عناصر المقطوعة الموسيقية المخصصة للاوركسترا؛ أثبتت نتائجه أن جوهر هذا العمل هو نتاج اندماج فكرتين موسيقيتين رئيسيتين، كما برهن على ما امتاز به الأداء الموسيقي من سلاسة وموضوعية في التعبير كما في حركة سير الجمال والخيول؛ إلى حد ألهم معه مخيلة كل من الموسيقي والفنان التشكيلي لتقديم أرقى درجات الإبداع الفني لديهما على حد سواء.
الكلمات المفتاحية: بورودين، قصيد سيمفوني.

Abstract

This paper is an analytical study of the symphonic poem "In the Steppes of Central Asia" by Alexander Borodin, it investigates the role of music in embodying an idea or a particular scene (dramatic idea), and it's ability to document this idea in the auditor's memory and enrich other art forms in a way that can help them totransmit and translate this documentation by analyzing the musical expression mechanism ……. By the the composer's and used in filming a convoy that travels in the desert.

The researchers analyzed the music and translated the musical expression into physical expression capable of moving this work from an audible world to a visible one through a plate.

The analysis includes an analysis of the musical part of the Orchestra and the results proved that the essence of this work is based on two main musical ideas; it also proved the flexibility and objectivity in the musical performance expression -as in the walk of the horses and camels- to the limit that inspired the musician and the painter to present a high level of artistic creativity.
Keywords: Borodin, Symphonic Poem.

مشكلة البحث:

تشترك الفنون على اختلافها وتباين أدواتها ووسائلها، بأنها تسعى إلى تحقيق هدف التعبير، سواء أكان ذلك فكرا أو شعورا أو مشهدا أو غيرها؛ وهو ما يشكل حلقة الوصل بين أدوات تلك الفنون ومخرجاتها الفنية؛ التي تتنوع ما بين مسموعة ومرئية وملموسة. وفي الوقت الذي لا يمكن فيه إغفال وجود الترابط بين الفنون، نلحظ تقصيرا في دراسة هذا الجانب في أعمال أكثر العصور الموسيقية تعبيرا وهو العصر الرومانسي، حيث الاتجاه إلى التعبير إلى حد ترى فيه لوحة فنية من خلال الاستماع إلى عمل موسيقي، كما يبرز هذا التقصير في عدم الاستفادة من تلك الأعمال وتوظيفها في ترسيخ العلاقة ما بين الفنون والاستفادة من أحداها في استلهام الأخرى، مما يسهم في ابتكار أعمال فنية نابعة من أعمال أخرى، كتجسيد فكر موسيقي في لوحة أو تمثيله في مشهد درامي. ولذلك تناول هذا البحث اللوحة السيمفونية "في سهوب آسيا الوسطى" للمؤلف الموسيقي الكسندر بورودين، بصفته أحد أبرز الأعمال التي قدمت في العصر الرومانسي، والعمل الوحيد الذي قدمه المؤلف ضمن إطار التأليف الموسيقي التصويري، إذ يعكس هذا العمل فكرة الربط بين الفنون وتحقيق الانسجام فيما بينها ضمن عمل واحد، بالإضافة إلى محدودية الدراسات التي تناولت هذا العمل، وافتقار المكتبة العربية لدراسات تتناول هذا الفكر الموسيقي الفني بشكل عام، وهذا القصيد السيمفوني تحديدا؛ لا سيما وأن العمل يحمل طابعا شرقيا في محتواه الفكري والموسيقي على حد سواء.

أهداف البحث:

يسعى الباحثون من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الرئيسية؛ كما يلي:

١. التعرف إلى أبرز سمات أسلوب ألكسندر بورودين في التعامل مع عناصر الموسيقى البروجراميه (التصويرية) وآلية توظيفها في التصوير الفني ضمن قالب القصيد السيمفوني من خلال تحليل عينة البحث المختارة.
٢. التعرف إلى دور الموسيقى في تصوير فكر أو مشهد معين وقدرتها على توثيقه في ذاكرة المستمع.
٣. بيان مدى علاقة الموسيقى بالفنون التشكيلية؛ والقاسم المشترك (التأثير المتبادل) بينهما من حيث فن التعبير من خلال تحليل عينة البحث المختارة.

أهمية البحث:

يتناول البحث هذا القصيد السيمفوني؛ لما يعكسه من فكر تعدى عمومية الفكر الرومانسي في توظيف الموسيقى بشكل أكثر تعبيرا وتصويرية، إلى حد يمكن معه توظيف مثل تلك المؤلفات القيّمة في مجالات الفنون والموسيقى وتعليمها، وتهيئة المتلقي لفهم أبعاد العلاقة بين الفنون والقواسم الحسّية التعبيرية المشتركة فيما بينها، من خلال مادة فنية موجودة؛ مسموعة ومعبرة بإبداع ووضوح يسهل معه تصور الفكر الذي تحمله أو المشهد الذي تعبر عنه، وهو ما يتضح من خلال ما يحويه هذا العمل من تنوع مقامي، هارمونيات، النسيج الهوموفوني، والتكوينات الإيقاعية البسيطة وغيرها من عناصر التأليف الموسيقي، إضافة إلى ما يمتاز به من سلاسة في الجمل الموسيقية المنتقاة بعناية، وبالتالي فإن مشاركتها مع اللوحة الفنية جعلت منها مادة فنيّة قد تسهم في تعزيز منهجية التعليم الفني هذه؛ إضافة إلى ما قد تسهم به من توجيه للباحثين والدارسين في هذا المجال؛ إلى تناول العمل الموسيقي الأوركسترالي والقصيد السيمفوني

(Symphonic poem) على وجه التحديد، بالتحليل من جوانب تتعدى التحليل الموسيقي المجرّد؛ إلى دراسة خصوصية التعبير ومدى ارتباط العمل الموسيقي بمجالات الفنون الأخرى.

منهج البحث:

المنهج الوصفي (تحليل محتوى).

عينة البحث:

القصيد السيمفوني "في سهوب آسيا الوسطى" للمؤلف الموسيقي ألكسندر بورودين، وهو العمل الوحيد له ضمن هذا القالب.

وقد تم اختيار هذا العمل كعينة مقصودة من مُؤلفات المُؤلف؛ حيث تتضح فيه أهم المفردات والمقومات التي تكون النسيج الموسيقي التصويري.

الآلات المكونة للعمل الموسيقي:

- الآلات الوترية: تمثلت بالآلات الوترية القوسية، حيث اقتصرت متطلبات أداء هذا العمل على آلات عائلة الكمان؛ كما يلي: كمان أول، كمان ثان، فيولا، تشيللو، كنترباص.
- آلات النفخ: تطلب أداء هذا العمل مجموعتين من آلات النفخ؛ كما يلي:

- آلات النفخ الخشبية: ٢ فلوت، ٢ أوبوا (بما في ذلك آلة الكورنو الإنجليزي)، ٢ كلارينت، ٢ فاجوت.
- آلات النفخ النحاسية: ٤ كورنو فرنسي، ٣ ترومبيت، ٣ ترومبون.

- الآلات الإيقاعية: اقتصرت على آلة التمباني.

حدود الدراسة:

تقتصر الحدود الزمنية على العام ١٨٨٠م [Ильин и Сегал, 1989: 317]، وهو العام الذي قام المؤلف خلاله بكتابة العمل الموسيقي عينة البحث، حيث خُصص هذا العمل للاحتفال باليوبيل الفضي (مضي ٢٥ عاما) على حكم القيصر ألكسندر الثاني لروسيا [Зорина, 1985: 60].

مُصطلحات البحث:

القصيد السيمفوني (Symphonic Poem): هي قطعة موسيقية للاوركسترا، تهدف إلى تصوير وتجسيد حركة درامية، كما لا يخضع القصيد السيمفوني لقالب تأليف محدد؛ وإنما يتحدد ذلك وفقاً للحركة الدرامية التي يهدف هذا العمل إلى تصويرها [اشخانيان و خليل، ١٩٩٩: ١٨٧].

يرجع أصل القصيد السيمفوني إلى المقطوعات الوصفية القديمة التي كانت تصف موضوعاً أدبياً أو أسطورة قديمة دون الاستعانة بموضوع شعري، والقصيد في هذا الصدد هو عبارة عن عمل أدبي فني؛ يحاول فيه الموسيقار مسايرة القصة الشعرية بألحان تجلب من التأثير ما يوحي بمختلف مواقف الرواية

ونظام أشخاصها، وقد كان يراعى عند اختيار الموضوع أن تتوفر فيه القواعد الفنية التي تجمع بين الألفاظ الشعرية والتعبيرات اللحنية [قدوري، ١٩٨٧: ٢٠١].

التعبير بالموسيقى: والمقصود هو التعبير عن الجانب الشعوري عند الإنسان، وهو ما يستطيع الفنان من خلاله أن يخاطب خيال الآخرين [موقع انترنت: kfary].

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: للباحثة أسماء عبد الرحمن عبد الستار موسى (٢٠١١)، بعنوان: دراسة تحليلية لأعمال ألكسندر بورودين وموديست موسورسكي للبيانو، وإمكانية الاستفادة منها في التأليف الموسيقي[١]

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أسلوب التأليف الموسيقي وأهم مفرداته عند كل من ألكسندر بورودين وموديست موسوروسكى، من خلال تحليل عينة البحث بقصد توضيح آلية كل منهما؛ لتتوصل أخيرا إلى تقديم بعض المقطوعات الموسيقية المكتوبة على غرار أسلوبهما في التأليف الموسيقي.

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناولها لجانب من سيرة المؤلف الموسيقي بورودين، إضافة إلى المنهج المتبع. وتختلف من حيث عينة الدراسة وأهداف التحليل.

الدراسة الثانية: للباحث: شريف زين العابدين (٢٠٠٤)، بعنوان: مُتتابعة البيانو عند ألكسندر بورودين[٢]

تناولت هذه الدراسة أحد أعمال المؤلف ألكسندر بورودين ضمن "قالب المتتابعة" لآلة البيانو، وقد تمثلت عينة البحث بالرقصة الأولى الجافوت (Gavotte) والثانية الانترميتزو (Intermezzo) من متتابعة البيانو عند بورودين، هدف الباحث من خلالها إلى دراسة الصعوبات الأدائية التكنيكية؛ ووضع مقترحات لمحاولة تذليلها، تمثلت بجملة من الإرشادات العزفية والتمارين المُقترحة، متبعاً المنهج الوصفي (تحليل محتوى) في إعداد الدراسة.

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية من حيث تناولها لأحد أعمال المؤلف الموسيقي ألكسندر بورودين، وتسليطها الضوء على أسلوب التأليف الموسيقي لديه ضمن أحد القوالب الموسيقية، كما تتفق من حيث المنهج المتبع، وتختلف معها من حيث عينة الدراسة، وأهدافها.

الدراسة الثالثة: للباحث Catherine Steinegger (1995)، بعنوان:

Alexander Borodin, The most oriental composer in the five[3].

(ألكسندر بورودين المؤلف الأكثر شعبية ضمن المؤلفين الخمس)

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم لمحة عن المؤلف الموسيقي ألكسندر بورودين ومؤلفاته؛ خاصة تلك التي تنوعت من حيث القوالب الموسيقية؛ إلا أن ما يجمعها هو الطابع الموسيقي الروسي الممتزج بالألحان

١. موسى، أسماء عبد الرحمن عبد الستار. (٢٠١١) دراسة تحليلية لأعمال ألكسندر بورودين وموديست موسورسكي للبيانو، وإمكانية الاستفادة منها في التأليف الموسيقي. رسالة دكتوراه، قسم التربية الموسيقية/كلية التربية – جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

٢. زين العابدين، شريف. (٢٠٠٤) متتابعة البيانو عند ألكسندر بورودين. مجلة علوم وفنون الموسيقى (ج.٢) العدد: ١٠، كلية التربية الموسيقية - جامعة حلوان – القاهرة.

3.Steinegger, Catherine. (1995) Alexander Borodin, The most oriental composer in the five. Dissertation abstracts international, MA.D.

الشرقية، حيث أشار الباحث إلى دور المؤلف بورودين في تجسيد روسيا بأكملها، من خلال هذه المؤلفات التي تعكس مزيجا من السمات الموسيقية الروسية والشعبية.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناولها لجانب من سيرة المؤلف بورودين، والتركيز على الطابع الروسي الشرقي في موسيقاه من خلال دراسة بعض أعماله، وتختلف من حيث عينة الدراسة، الأهداف والمنهج المتبع.

الدراسة الرابعة: للباحث Ellon Degrief (1988)، بعنوان:
The Theory of Music in Russian and the Soviet Union (1650 -1950)[4]
(النظريات الموسيقية في روسيا والاتحاد السوفيتي خلال [١٦٥٠-١٩٥٠م])
جاءت هذه الدراسة كدراسة مسحية تناولت النظريات الموسيقية في الترانيم التي ظهرت في روسيا في الفترة ما بين (١٦٥٠- ١٩٥٠م)، وقد ركز الباحث من خلالها على النظريات الموسيقية المتبعة في الفترة ما بين القرنين (١٧ - ٢٠)، كما عرض لأفكار وآراء علماء النظريات الموسيقية الروس.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية من حيث تناولها لإحدى مراحل تطور الموسيقى الروسية، وتختلف من حيث منهج الدراسة وعينتها.

نبذة عن حياة المؤلف الكسندر بورودين (Alexander Borodin):

"الكسندر بورودين" (١٨٤٣ - ١٨٨٧) [موقع انترنت: malaspina].

ولد المؤلف الموسيقي الكسندر بورودين لأب من أحد نبلاء "جورجيا" واسمه "لوكا جيديفانيشفيلي" (Luka Gedevanishvili)، أمه "جيفدوكيا كونستانتينوفا انطونوفنا" (Evdokia Konstantinovna Antonova)، كان موهوباً وذكياً، وقد عاش حياة كريمة في طفولته [موقع انترنت: classiccat]، أتقن خلالها عدة لغات وهو في سن مبكرة.

4 .Degrief, Ellon. (1988) The Theory of Music in Russian & the Soviet union (1650-1950). Dissertation abstracts international, Pennsylvania University, Ph.D.

بدأ بورودين تعلم العزف على آلة البيانو في سن التاسعة، كما تعلم في طفولته العزف على آلتي الفلوت والتشيلو، وشكل مع أصدقائه رباعيا وتريا، كما ألف كونشيرتو صغيرا للبيانو.
في مرحلة لاحقة؛ انصب اهتمامه على علم الكيمياء؛ وأصبح طبيبا كيميائيا بعد أن درس الكيمياء في "سانت بطرس بيرغ" وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٨٥٨م، ثم عمل في معمل للتحاليل الطبية في المشفى الإمبراطوري. وعلى الرغم من تقسيمه نمط حياته بين عمله كطبيب وباحث موسيقي؛ إلا أن انشغاله كان سبباً في محدودية إنتاجه من حيث العمل الموسيقي.

لم تقف محدودية الإنتاج الموسيقي الذي قدمه بورودين عائقا أمام احتلاله مكانة مرموقة بين أهم الموسيقيين في "مجموعة الخمسة الروس"؛ نظرا إلى مقدار التميز الذي اتسمت به الأعمال التي قدمها، إذ يعتبر أحد أبرز المؤلفين الذين كان لهم الفضل في نهضة الموسيقى الروسية وولوجها إلى العالمية، ودوربالغ الأهمية في تجسيد روسيا بفكرها وطابعها وموسيقاها؛ من خلال مؤلفاته التي تعكس مزيجا من السمات الموسيقية الروسية والشعبية.

حالت وفاة بورودين دون أن يكمل بعض أعماله الموسيقية، وقد تولت نخبة من الموسيقيين إكمال هذه الأعمال؛ أمثال ريمسكي كورساكوف (Rimsky-Korsakov) الذي أكمل أوبرا "الأمير إيغور" [Coxop, 1965: 274]، وألكسندر جلازونوف (Alexander Glazunov) الذي أكمل السيمفونية الثالثة (A minor)؛ مما يدل على أن اهتمام بورودين بالموسيقى وشغفه بالتأليف كان قد استمر حتى وفاته عام ١٨٨٧م [المرجع السابق: 281].

لمحة عن القصيد السيمفوني "في سهوب آسيا الوسطى" للمؤلف الموسيقي الكسندر بورودين:

استطاع بورودين بموهبته المميزة وإبداعه الموسيقي أن يكون ضمن نخبة الموسيقيين الذين استطاعوا التعبير عن الصحراء، بما فيها من البعد والخلاء وحرارة الأجواء وغير ذلك الكثير، وقد سَخّرَ المؤلف حصة كبيرة من موهبته الموسيقية للقصيد السيمفوني الذي يمثل عينة الدراسة، حيث وصف في هذا القصيد قافلة تسير في الصحراء؛ تحمل التوابل والأسلحة والأقمشة والسجاد وغيرها، ويحميها حشد من الجنود المدججين بالأسلحة -لما يحفهم من خوف بسبب قطاع الطرق- ويرافقهم القصاص الذي كانت مهمته أن يرشدهم إلى الطريق أثناء مسير القافلة.
على خريطة آسيا شرق بحر قزوين؛ تمتد سهول القرغيز* التي تمثل جزءا من الأراضي الآسيوية في روسيا، حيث يصف المؤلف في هذا العمل مسير قافلة قادمة من الشرق عبر سهول القرغيز؛ يرافقها جنود روس لحمايتها خوفا من أن يهاجمها اللصوص.
ينطلق المؤلف في وصف الصحراء وما تحويه من صمت وفراغ وهدوء، حيث يشعر المستمع لهذا العمل السيمفوني وكأن الوقت يمر دون الإحساس به، إلى حد يستطيع معه أن يتتبّع مسير القافلة؛ وأن يتصور رحلتها بشخوصها وأحداثها زماناً ومكانا، ضمن إطار محدود في الزمن الحاضر؛ تحكمه حدود اللوحة الفنيّة التشكيلية التي تترجم هذه الأحداث من الحسّ المسموع إلى المرئي.

* جمهورية قرغيزيا في الجزء الشرقي من آسيا الوسط، تشترك حدودها الشرقية مع إقليم تركستان الشرقية، ومن الشمال جمهورية كازاخستان، ومن الغرب جمهورية أوزبكستان، ومن الجنوب الغربي جمهورية طاجكستان وتحيط بكل حدود قرغيزيا بلدان ذات غالبية إسلامية.

مكونات العمل الموسيقي:

الفكرة الرئيسة: تشكلت الفكرة الرئيسة التي يصورها هذا العمل من خمسة عناصر شاملة هي: الصحراء الواسعة، والجنود الروس، والسجناء الآسيويون، وسير القافلة والناس.

وقد اعتمد المؤلف في تصوير رحلة القافلة موسيقيا مبدأ يقوم على جمع هذه عناصر ضمن إطار فني تصويري مرن، يسمح بالإحساس بذلك العصر وطابعه، والذي تمثل القوافل جزءا لا يجزأ منه بتجارتها وكل ما يتعلق بها من متطلبات التنقل والحماية وغيرها. كما أتاح للمستمع أن يشعر بحركة القافلة بأناسها وجمالها وخيولها؛ كلّ ضمن رمزية موسيقية خاصة، استطاع من خلالها أن يحافظ على التوازن في أداء كل هذه العناصر دون أن يفقد أحدها دوره، أو أن يطغى أحدها على الآخر ليفقد بذلك مكانه في مخيلة السامع وإن كان للحظات.

ولإثبات ذلك؛ قام الباحث التشكيلي برسم لوحة جاءت مقوماتها من خلال المعطيات الأولية المتعلقة بالزمان، والمكان، والشخوص والأدوات، وغيرها من العناصر التي تصور الحدث، حيث استعرضها بشكل مجرد قبل الاستماع إلى العمل السيمفوني؛ ليوظفها بحسب المشهد الذي تكون في مخيلته في اللوحة رقم (١):

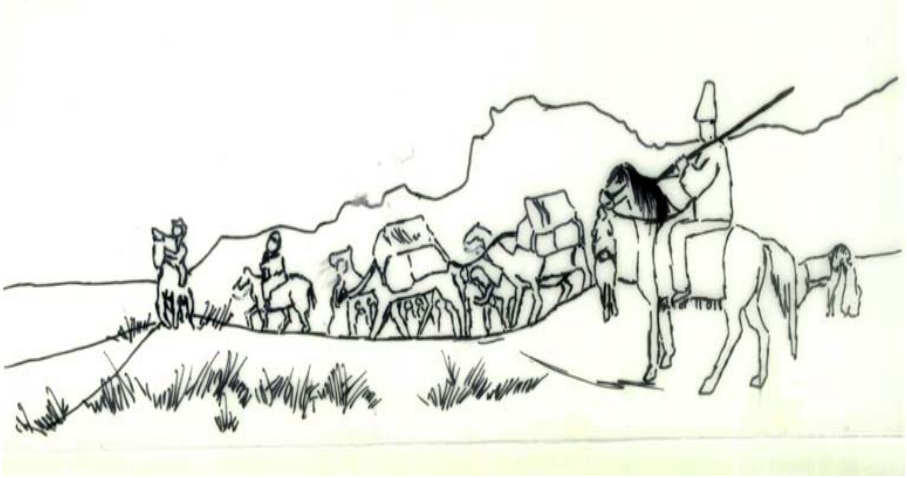

اللوحة رقم (١)*

الفكرة الموسيقية الأولى: يستهل هذا العمل بنغمات موسيقية بسيطة تعزفها مجموعة آلة الكمان، جاءت على شكل تآلفات بسيطة وُظفت لتؤدى على نحو مترابط متصل، يهدف للحصول على تعبير موسيقي طويل هو أقرب لأن يكون تهيئة أو مقدمة للمشهد، وفيه من الهدوء ما يوحي بطابع الصحراء وسماتها؛ إذ تُعبّر مقدمة العمل عن صورة الصحراء الخالية بعيدة الأفق، والتي تسير بها قافلة وكأنها امتداد إلى ما لا نهاية، كما في النموذج رقم (١):
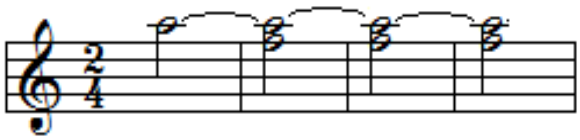
نموذج رقم (١)

* اللوحتان رقم (١) و رقم (٢) رسمتا من قبل الباحث الثالث.

ثم يبدأ المؤلف عرض فكرة موسيقية جديدة غاية في البساطة؛ تهدف إلى تصوير الجنود الروس، من خلال أغنية روسية تؤديها آلة الكلارينت منفردة، ثم تبدأ آلة الكورنو الفرنسي عزف لحن أغنية بهمهمة بغية التعبير عن قدوم الجنود من بعيد.

اهتم بورودين بكل ما من شأنه الحفاظ على الإحساس بجمال الصحراء وخصوصية طبيعتها، حيث استطاع أن يفرد حيزا كافيا لهذا الغرض؛ وموظفا التعبير الموسيقي لخدمته في مجمل العمل، ومن الأمثلة على الإيحاء بجمال الطبيعة وسحرها؛ ما يتضح في النموذج رقم (٢):
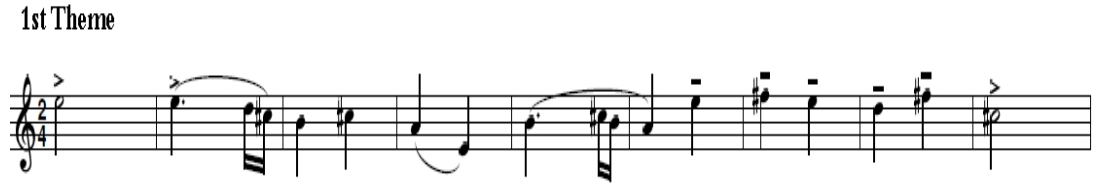
نموذج رقم (٢)

تنتهي الأغنية ليبدأ تعبير موسيقي إيقاعي مختلف؛ يعتمد المرافقة بأسلوب النقر (.pizz)، تؤديه الآلات الوترية القوسية ذات الطبقة الغليظة (الفيولا، التشيللو والكنترباص) للتعبير عن حركة سير الجمال والخيول وتمايلها أثناء مسير القافلة، كما هو موضّح في النموذج رقم (٣):
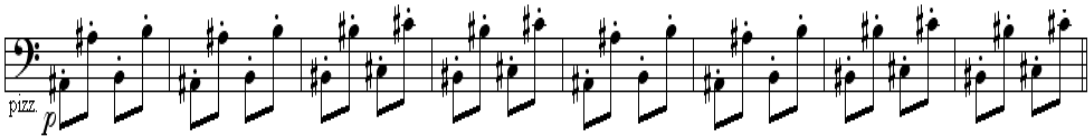
نموذج رقم (٣)

مع مواصلة الكمان الأول العزف في طبقة مرتفعة مستخدما العلامة (8va) بالاعتماد على نهج الترابط والتواصل في الأداء لبعض النغمات.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن اعتماد المؤلف في التعبير الموسيقي الدقيق عن الحركة والقرب أو البعد لم يقتصر على التويعات اللحنية والإيقاعية فحسب؛ وإنما حرص على أن يترافق ذلك بالتوازي مع التوظيف المتقن للعديد من مفردات التعبير الموسيقي مثل: خفوت الصوت (pp)، والتدرج صعودا في شدة الصوت (.cresc)، والتدرج هبوطا في شدة الصوت (.Dim).

مرحلة التفاعل (التطوير) وتتألف من عدة أجزاء:

الجزء الأول: عرض فكرة موسيقية بسيطة تؤديها آلة الكلارينت، ثم نمنمات موسيقية لأغنية تؤديها آلة الكورنو الفرنسي؛ استُخدم بها البعد الثالث[٥] أثناء أداء الجملة الموسيقية، حيث يبدو دوره جليّا في التعبير عن لحظات اقتراب القافلة والجنود الذين يرافقونها، كما في النموذج رقم (٤):

٥. ثلاثية الابعاد: هي الصورة التي تجعل تجربة المشاهدة أكثر واقعية وإثارة. وتعني أننا نستطيع التعامل مع ثلاثة أبعاد؛ الطول، والعرض، والعمق. ووسائل العرض الثلاثي الابعاد تستعمل في التصميم والطب والسينما وكذلك الموسيقى. وفكرة البعد الثلاثي في الموسيقى مرتبطة بالعمق واتجاه الفكرة الموسيقية إما نحو التدرج بتصاعد الشدة أو العكس بالخفوت، ومن الامثله على ذلك؛ "لوحة من معرض الصور"
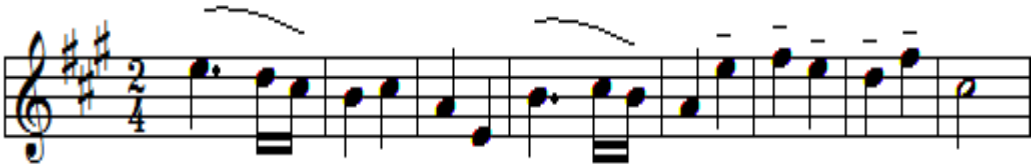
نموذج رقم (٤)

الجزء الثاني: تبدأ آلة الكلارنيت بعرض الفكرة الموسيقية الرئيسية ترافقها آلتا الفلوت والفاجوت بمرافقة هارمونية بسيطة؛ وآلتا التشيللو والكنترباص بالعزف بطريقة النقر، كما يبيّن النموذج رقم (٥):
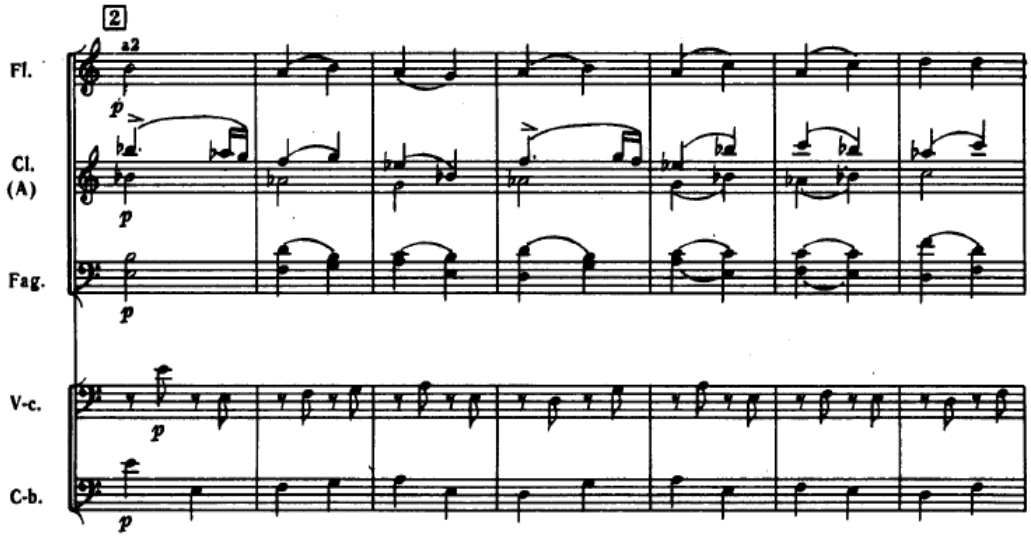
نموذج رقم (٥)

وهنا يلاحظ استخدام المقياس الثنائي؛ حيث استطاع المؤلف التعبير عن هذه الفكرة بمجموعة من ثمانية حقول، مستخدماً أقواس الوصل في بعض منها.

الجزء الثالث: تؤدي آلة الكورنو الفرنسي الفكرة بأداء خافت ولطيف، كما يظهر في النموذج رقم (٦):
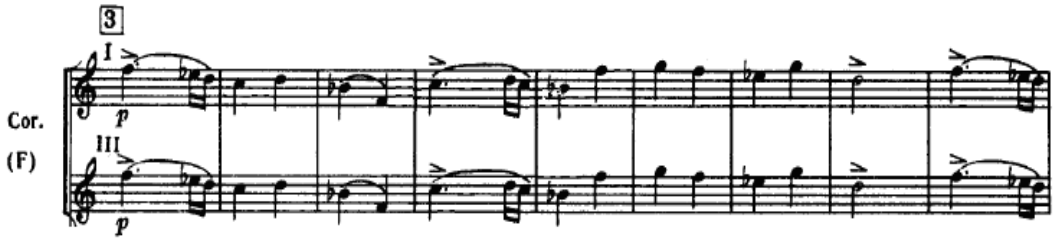
نموذج رقم (٦)

للموسيقي موديست موسورسكي وكذلك نهاية العمل الموسيقي للقصيد السيمفوني "نهر مولداو" من مجموعة قصائد وطني لفريدريك سميتانا [Wolchonok, 1959: 1].

وتصاحبها الآلات الوترية (التشيللو والكنترباص) بطريقة تأخير الإيقاع (syncope) - أي بعد الضلع الأول من كل حقل – حيث استخدم المؤلف الدرجة الأولى ثم الثامنة لكل نغمة ثم انتقل ليرتفع أنصاف الدرجات، ثم عاد بعكس الفكرة أي من النغمة المرتفعة إلى المنخفضة وبنفس المسافة الثامنة، ثم ارتفع بمسافة نصف درجة وهكذا، كما هو محدد في المربعات في النموذج رقم (٧):
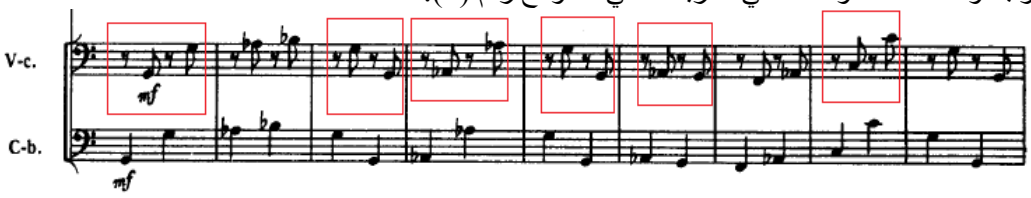
نموذج رقم (٧)

<u>الجزء الرابع:</u> تشترك جميع آلات الاوركسترا في أداء هذا الجزء بقوة وانسجام، مع استخدام المؤلف لتعبير (ff) ودخول لافت لآلة التمباني الإيقاعية، ضمن نغمات موسيقية تؤدى على شكل ضربات محددة وواضحة؛ منتظمة ومتعادلة حتى نهاية الجملة الموسيقية، كما يظهر في النموذج رقم (٨):
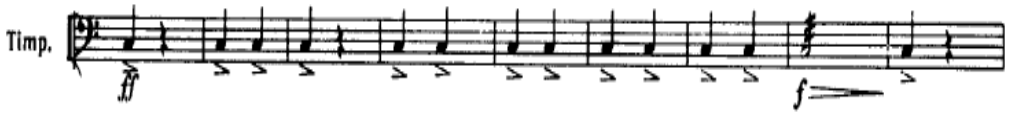
نموذج رقم (٨)

بالإضافة إلى اشتراك الوتريات في أداء يعتمد استخدام تقنية أداء القوس (arco) لجزء من اللحن ثم العودة إلى تقنية الأداء بالنقر (.pizz).

<u>الجزء الخامس (الفكرة الموسيقية الثانية):</u> أغنية شعبية تحمل نفحة دينية تعود بأصلها إلى شرق روسيا، تمثلت في لحن ذي طابع شرقي تؤديه آلة الكورنو الإنجليزي منفردة، وفي هذا اللحن يصور المؤلف السجناء الآسيويين المرافقين للقافلة، ثم وظف المؤلف آلة الكمان في أداء لحن بطريقة النقر؛ معززا هذا الأداء بمرافقة أدائية من آلتي التشيللو والكنترباص، ليصف من خلال هذا النسيج الموسيقي مسير القافلة عبر الصحراء الشرقية؛ في إشارة إلى لحظات المعاناة التي كانت تعيشها الجمال والخيول أثناء سيرها بسبب شدة حرارة الرمال، مستخدماً الثلاثيّة (Triplet) للتعبير عن ذلك، كما يوضح اللحن في النموذج رقم (٩):
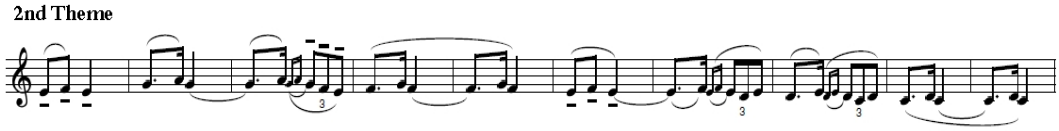
نموذج رقم (٩)

استخدم المؤلف الكورنو الانجليزي والأجراس في أداء لحن حزين؛ بينما ترافق بقية الآلات اللحن الأساسي، ويركز المؤلف على هذا اللحن باستمرار؛ إذ نجده قد كرر نفس الفكرة الموسيقية أربع مرات متتالية ولكن بتنويعات؛ منها مقامية شملت استخدام السلم الموسيقي (La M)؛ وأدائية تمثلت في أداء الفكرة من قبل

مختلف آلات الاوركسترا؛ بحيث تأخذ كل منها دورا في التعبير عن هذه الفكرة، ليكون بذلك قد أكد على التعبير المقصود من تكرارها ضمن إطار من التنوع الموسيقي الأدائي، الذي تختص به كل آلة أو مجموعة آلية من حيث الإمكانات والطابع الصوتي وأساليب الأداء وغيرها.

الجزء السادس: يعبر هذا الجزء من العمل الموسيقي عن سير القافلة إلى الإمام؛ إذ تمضي بعيداً ليتجدد الهدوء، حيث وظف المؤلف اثنتين من الأغاني تتداخلان فيه، وهي مسموعة بوضوح من خلال تمازج فكرتين موسيقيتين؛ الأولى تؤديها آلة الفلوت والثانية تؤديها آلة الفاجوت (الباصون) بصوتها العريض المنخفض، وترافقهما آلتا الفيولا والتشيللو بتناغم مع الفكرتين الرئيسيتين بالعزف بطريقة النقر (.pizz)، بالإضافة إلى مرافقة تؤديها آلة التمباني، كما تظهر المدونة في النموذج رقم (١٠):
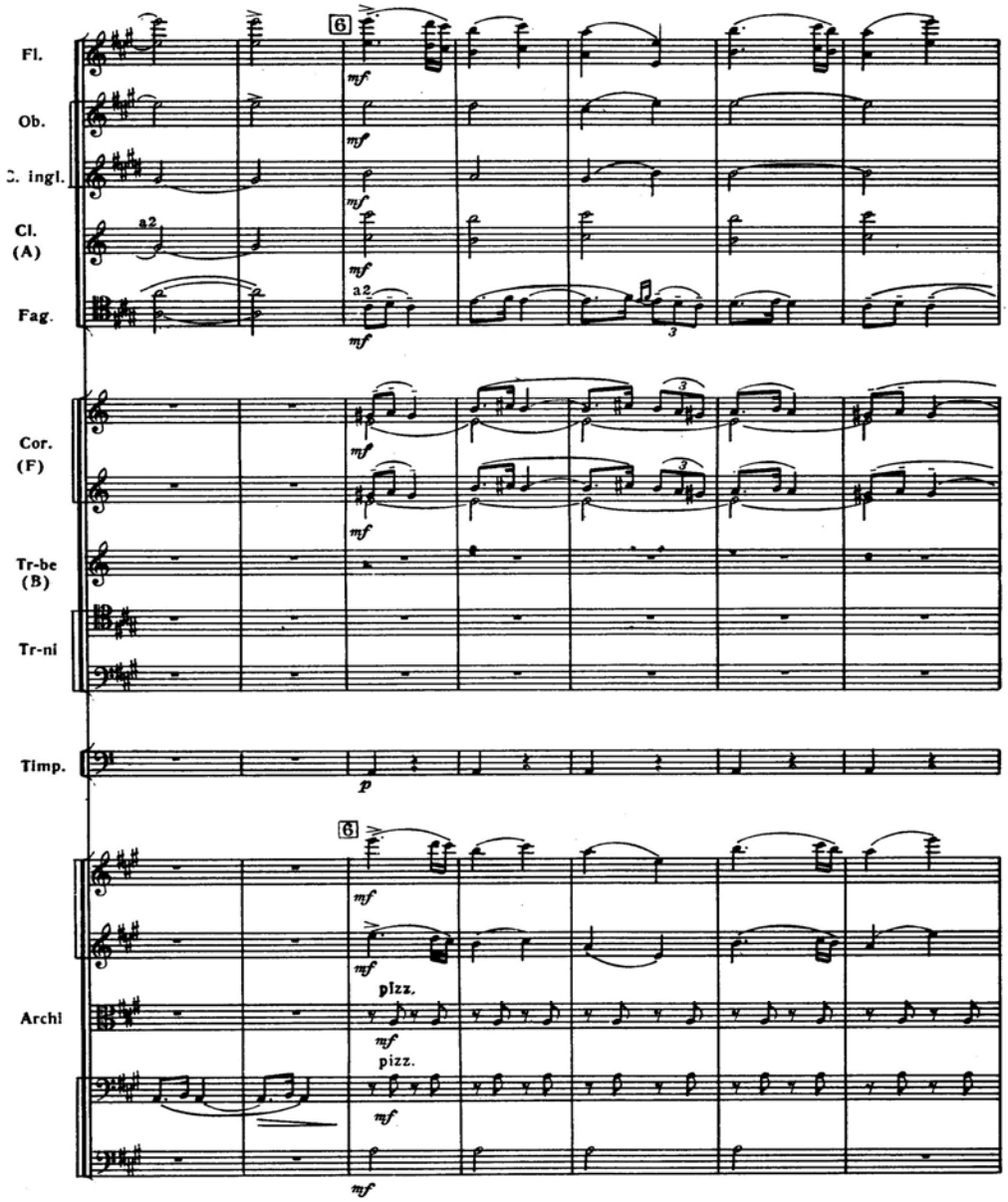
نموذج رقم (١٠)

الخاتمة:

تقوم نهاية هذا القصيد السيمفوني على فكرة موسيقية تسودها الملامح الروسية بشكل رئيس، وتؤديها آلات نفخ خشبية بمرافقة آلة الترومبون، ترافقها آلات الاوركسترا بمرافقة بسيطة في أداء الجمل الموسيقية المتواصلة والطويلة، ثم تعزف آلة الكلارينت جملة موسيقية تمهيدا لانتقال الأداء إلى آلات الفلوت والكمان الأول والثاني دون مرافقة من آلات أخرى؛ في أداء غاية في الشفافية والإحساس، حيث استخدم المؤلف مفردات التعبير الأدائي (pp contabile)، التباطؤ في الأداء، بالإضافة إلى العزف بصوت خافت جداً (pp)، وبذا تكون نهاية العمل وخاتمته، كما يظهر في النموذج رقم (١١):

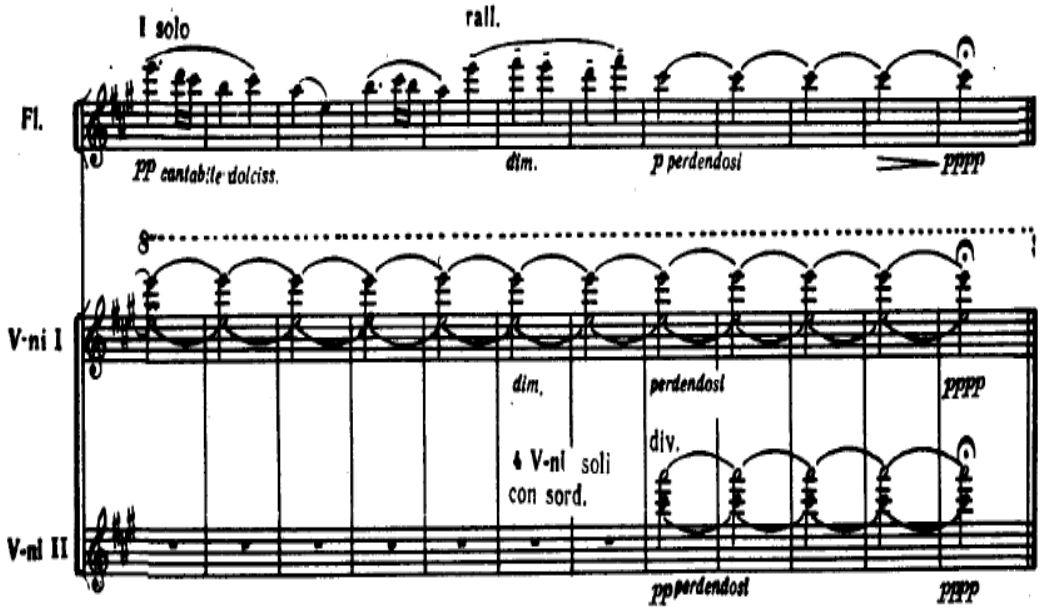

نموذج رقم (١١)

بعد الاستماع إلى العمل الموسيقي؛ والأخذ بالأبعاد التعبيرية الموسيقية وتحليل دورها وآلية توظيفها رسم الباحث التشكيلي لوحة ثانية لنفس الشهد مع إضافة الألوان، قام الباحث من خلالها بترجمة المشهد الذي توحي به الفكرة الموسيقية المسموعة إلى صورة مرئية؛ وإسقاط بعض التعابير الدالة على سير القافلة يرافقها الجنود والخيول في الصحراء، حيث تسمع الأصوات الخافتة المنبعثة من القافلة في الأفق الرحب، وتسمع أصوات توحي بسمات الصحراء وحركة القافلة وكأنها تأتي من مختلف الاتجاهات؛ كصوت الرياح وحركة الرمال ورتابة خطوات سير القافلة، وكذلك الأصوات المنبعثة من الأحمال على ظهر الجمال، في تعبير موسيقي جليّ يجعل المستمع للعمل والمشاهد للوحة وكأنه يعيش مشهد سير القافلة في الصحراء بتوثيق سمعي بصري، استطاع الباحث التشكيلي من خلاله أن يمزج بين زرقة السماء وهدوء الصحراء؛ وإبراز الحركة البطيئة لسير الجمال والخيول، وكأنما القافلة تغادر مورد الماء للتو، وهي لحظات تتسم بالارتياح والهدوء، كما تؤكد اللوحة التشكيلية رقم (٢):

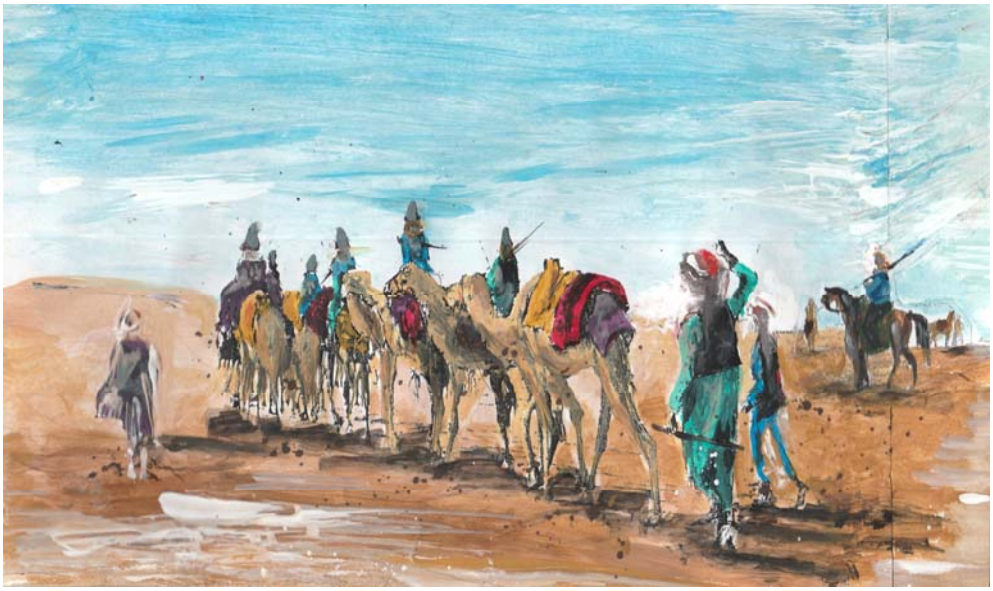

اللوحة رقم (٢)

تشكلت لوحة القافلة من أربعة أبعاد؛ هي: المكان أو الفضاء، والزمان، والحدث واللون الذي يقوم مقام اللغة أو النغمة في الموسيقى، والكائنات التي تقوم مقام الشخوص في النصوص، وهنا تجدر الإشارة إلى أن اللوحة الفنيّة في مجال الرسم التشكيلي لا تحتل مكانتها ولا تؤدي دورها التعبيري الحقيقي ما لم توظف هذه الأبعاد الأربعة؛ لتنتقل بالعلاقات من حال المألوف إلى حال اللامألوف، بآلية لا تتناقض مع المألوف وإنما تمنحه معنى أوسع وقيمة جديدة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

يعتبر هذا القصيد السيمفوني بتركيبته البنائية والأدائية التعبيرية أحد أهم الأدلة القاطعة على فهم المؤلف للاوركسترا السيمفوني وآلية التعامل مع مجموعاتها الآلية، وتفعيل أدوارها بنظام متوازن يضمن استثمار أكبر قدر من إمكانياتها الصوتية والأدائية التعبيرية؛ بشكل يضمن تصوير فكرة أو مشهد (حركة درامية) بأكبر قدر من الدلالات التعبيرية المسموعة، استطاع من خلاله تكثيف هذا الزخم الفني ضمن عمل أوركسترالي تصويري هو القصيد السيمفوني "في سهوب آسيا الوسطى".

تمكن بورودين من دمج الأغنية ذات الدلالات الشعبية بانسجام مع ضخامة العمل الأوركسترالي؛ الذي يعد أكثر تعقيدا من حيث محتواه الموسيقي ومتطلبات أدائه؛ إذا ما قورن بالمحتوى الموسيقي الشعبي أو الشائع، وموظفا إياها لتحقيق رمزية مقصودة؛ تؤكد على هوية الشخوص والخصوصية المكانية؛ في تصويره لمشهد مسير القافلة في صحراء آسيا الوسطى يحميها الجنود الروس. وقد أعلن عن التعامل مع هذه الأغنيات بأسلوب موسيقي؛ يجعل منها رمزية موسيقية فكرية هامة في إطار التأليف الموسيقي الأوركسترالي عامة والقصيد السيمفوني بشكل خاص.

وظّف المؤلف الآلات الوترية القوسية خاصة الكمان منها مستغلا إمكاناتها الصوتية وتنوع تقنيات الأداء عليها، والتي تتيح مجالا أكبر لتوظيفها في أوجه تعبيرية متنوعة، فنجدها تؤدي دورا بارزا في التعبير عن

مسير القافلة، وأحيانا للإشارة إلى ما تنقله هذه القافلة من توابل وسجاد وأقمشة وأسلحة، وفي مواقع أخرى نجده قد وظّفها لإضفاء الطابع الشرقي على موسيقى هذا العمل.

وظّف بورودين عناصر مشهد حركة القافلة بتوازنها المشار إليه آنفا في بناء الفكرة الكاملة للمشهد المراد تصويره، والتي تقوم أساسا على مزج فكرتين موسيقيتين رئيسيتين؛ استطاع أن يدمجهما ببراعة مكّنته من تصوير مشهد القافلة في الصحراء، مشكّلة بذلك أيحاءات واضحة ودقيقة أهلتها للانتقال بكامل عناصرها من عالم المسموع إلى عالم المرئي.

كان للتعبير الموسيقي من الشفافية والدقة أن أوحى بدلالات عميقة عن كل ما يحيط بمشهد القافلة، حيث يتضح من اللوحة التي تمثّل ترجمة للتعبير الموسيقي ما يؤكد ذلك؛ فمثلا نجد أن التباطؤ في الأداء الموسيقي قد انعكس في اللوحة من خلال تحديد كيفية تصوير حركة مسير الجمال في القافلة عبر رمال الصحراء الدافئة، كما جاءت الألوان الباردة متوافقة مع التعبير الموسيقي على نطاق أوسع؛ تمثّل في ما يثيره في نفس المشاهد للوحة من ضبابية الحزن؛ والرحيل والخوف أحيانا، كما يُلاحظ التوافق ما بين الضوء ولون المساحات ذات الفضاءات في اللوحة.

يبرز أثر التعبير الموسيقي وسلاسة الأداء من خلال ما تؤكده هذه اللوحة من ترجمة لنبض الحدث؛ وتوضيح لملامح الشخوص والخيول والجمال، إلى حد يشعر معه الناظر لهذه اللوحة أنها تعيد ترجمة المشهد إلى الأصوات التي تكونت منها أصلا؛ ليشعر وكأنه يستمع لأصوات هرج الرحالة التي تظهر من خلال حركة الألوان ودرجاتها وظلالها، ومن هنا يبدأ المنظور بالاتجاه نحو المركز؛ إذ تشكل صوتاً خفياً، يبدأ صغيراً ثم يرتفع تدريجيا مع ارتفاع أصوات الآلات الموسيقية في العمل.

قائمة المصادر والمراجع:

العربية

اشخانيان، جوزيف و خليل، غسان. (١٩٩٩) **الموسيقى للجميع - تفسير الكلمات والعبارات الموسيقية.** مطبعة شمالي اند شمالي، بيروت.

قدوري، حسين. (١٩٨٧) **الموسوعة الموسيقية الصغيرة.** وزارة الثقافة والإعلام دار ثقافة الطفل، بغداد.

الانجليزية

Wolchonok, Louis. (1959) **The art of three dimensional design.** Published by Harper & Brother, USA.

الروسية**

Ильин, Михаил и Сегал, Елена. (1989) **Александр Порфирьевич Бородин – Письма.** изд. Правда, Москва.

(إيلييين، ميخائيل و سيغال، إيلينا. (١٩٥٧) **ألكسندر بورفيريفش بورودين – في الرسائل.** برافدا، موسكو).

Зорина, Ангелина Петровна. (1985) **А.П. Бородин в воспоминаниях современников.** Москва, Музыка.

(زورين، أنجلينا بيتروفنا. (١٩٨٥) **بورودين في مذكرات معاصريه.** موسكو، موزيكا).

Сохор, Арнольд Наумович. (1965) **Александр Порфирьевич Бородин – Жизнь, деятельность, музыкальное творчество.** Изд. Музыка, Москва – Ленинград.

(سوخر، آرنولد ناوموفيش. (١٩٦٥) **ألكسندر بورفيريفش بورودين – حياة، النشاط، الإبداع الموسيقي.** موزيكا، موسكو - لينينغراد).

مواقع انترنت (الصفحات الالكترونية)

موقع النوادر الطربية: المهدي، احمد. (٢٠١٠) **ظاهرة التعبير في الموسيقى العربية.**

http://www.kfary.com/news-140,N-10491

موقع: Classiccat

http://www.classiccat.net/borodin_a/biography.php

موقع: Malaspina

** تمت الترجمة من المراجع الروسية إلى العربية من قبل الباحث الثاني.